

## المحاضرة الثالثة: مفهوم الخطاب الشعري.

إن الخطاب الشعري هو ذلك الملفوظ المزين بألوان الموسيقى التي تطرب أذن السامع، وهو الكلام الموزون المقفى الذي يميل إلى الغنائية في اغلب الأحوال، وقد عرفت العرب هذا اللون من الخطاب قبل مجيء الإسلام؛ وبالتحديد في العصر الجاهلي الذي تميز فيه هذا الخطاب بالقوة والجزالة وحسن السبك، وفي العصر الحديث تغيرت نمطية الخطاب الشعري على ما كانت عليه قديماً، وعلى العموم فإن الخطاب الشعري حمال دلالات، وهو ما يفصح عنه النص الشعري - قديمه وحديثه- عند تفكيكه إلى مكوناته الأصيلة: البنى التركيبية اللغوية ذات الاتصال الوثيق بالبنى النحوية من جهة، وجموع البنى البلاغية في تعالقيها بالبنى السالفة من جهة أخرى، ما يؤسس ملمحه الأسلوبية الذي يميزه عن سائر اللصوص من جنسه، ومن ثمة عن سائر الأجناس الأدبية الأخرى.

غير أن هذا اللون يرتبط بنوع من العلاقة بين القارئ و النص، من خلال دور الشاعر في هذا السياق في إنتاجه لهذا الخطاب. فمن خلال إيهامه بالواقع، يتركز عند القارئ إمكان الإحالة على الواقع. ومن ثمة، يصبح الخطاب الشعري انعكاساً للواقع؛ وتركيزاً عليه، وبالتالي فالخطاب الشعري يركز على الواقع في بنائه العام مع شيء من الحقيقة، وبين الواقع والحقيقة تتأكد العلاقة الترابطية بين النص الشعري والبنية السوسيو- لغوية، وهنا يطرح تودوروف أنواع العلاقات التي يقيمها بين المستويات الأخرى المرتبطة بالأدب، والتي يلخصها في الوظيفة البنائية داخل العمل، والوظيفة الأدبية من خلال دمج الوظيفة الأولى في إطار الأدب في حقبة معينة، والوظيفة اللفظية بإدماجها في مجموع الأحداث الاجتماعية<sup>1</sup>، وبالتالي فتاريخ العلامات يشتمل على تطورات منطقية، تتعلق بمستويات مختلفة، وينطوي الخطاب الشعري على كم هائل من العلامات والرموز و من ثمة، فإن العلامات والرموز، لا تتمكن من القيام بدورها، ما لم تنتم إلى: " منظومات محكومة بقوانين داخلية من التضمين والاستبعاد. ولأن خاصة أية منظومة للعلاقات، تكمن في إمكان تحولها، و بعبارة أخرى إمكان ترجمتها، إلى لغة منظومة أخرى بواسطة عدد من الابدالات.

<sup>1</sup> - كلود ليفي - ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية " الجزء الثاني"- تر: د.مصطفى صالح- دمشق، منشورات عيون، ص 30.

إن الخطاب الشعري القديم – الخطاب الشفوي – نظام إيقاعي يحقق الانسجام والغنائية، وهذا ما يعكس طبيعته الإنشادية التي تفرض صبيغا ومعايير معينة لإنتاجه واستهلاكه، وبالتالي فإن الشاعر في هذا المجال ركز اهتماماته حول وسائل الإنجاح الشفوي كإقرار وحدة البيت، وانتظام عدد التفعيلات مع ضرورة القافية، إضافة إلى هذا فقد ضيق الفارق بين الواقع الحياتي والواقع الشعري، حيث جاءت الصور الشعرية حسية على مستوى الموضوعات، وذلك حتى تكون في مستوى الاستيعاب، الأمر الذي يسر عملية التلقي، وكأن الأمر صمم خصيصا لإسعاف المتلقي (السامع) شفويا، من ذلك مثلا كثرة التشبيهات والاستعارات للمعاني والتقريب بين الأشياء المتباعدة ووضعها في صور محسوسة، وبالموازاة مع هذا فقد اشترط النقد العربي القديم الوضوح والمقاربة في التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له .

في هذا اللون من الخطاب ندرك أن هناك تلازما بين إيقاع الجسد وإيقاع الصوت وإيقاع النغم، وذلك أن تحقيق فاعلية التأثير في المتلقي تنطلق من هذا التوافق الذي يخلق نوعا من الانسجام بين جمالية الصوت وجمالية الحركة، وعليه ففعل الأداء الشفوي للشعر يتطلب تلوينات نغمية وإيقاعات جسدية يتعزز بها الموقف الإنشادي لحظة الأداء، كما أن الشعر في حد ذاته حين الإلقاء الشفوي – يستدعي هذا التفاعل بين الصوت والحركة الجسدية والنغمة الموسيقية، وكأن الشاعر باعتماده هذه المعايير يحاول أن يؤسس لكتابة بصوت عال من شأنها أن تؤثر في المتلقي (السامع) ، لأن : "الأذن متى دربت على هذا النظام الخاص ألفته... ومثل الوزن في هذا مثل كل شيء منتظم التركيب منسجم الأجزاء يدركه المرء بسهولة"<sup>2</sup>

لكن نقطة التحول الحقيقية في حركية الخطاب الشعري العربي كانت مع بداية الحرب العالمية الثانية، وذلك بظهور حركة شعر التفعيلة أو ما اصطلح عليه بالشعر الحر، وقد كان من رواده كل من: "نازك الملائكة"، "بدر شاكر السياب"، ويعد شعر التفعيلة المحاولة الأولى للانفلات من معايير الموروث الشعري القديم، وذلك أنه « كان بمثابة أول خطوة تعمل تهديما في العنصر الموسيقي لا من حيث المبدأ بل من حيث نمطية الموروث، وكان هذا بمثابة عودة للبحث عن نمطية بديلة<sup>3</sup> .

<sup>2</sup> - إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1972م، ص 13 .

<sup>3</sup> - يمتى العيد: في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985م، ص

لقد أتاحت حركة شعر التفعيلة للشاعر الحرية في اتخاذ الشكل الشعري الذي يوافق ذائقة الشاعر وحالته الشعورية، فاتحة له بذلك مجالا واسعا يساعده في تشكيل موسيقى شعره بطريقة حرة، علما أنه في هذا الإطار الفني لم يخرج عن دائرة الخليل العروضية، على اعتبار أن هذه الحركة « ليست محلها، وإنما دعوة لنبذ شعر الشطرين نبذا تاما، ولا هي تهدف إلى أن تقضي على أوزان الخليل وتحل كل ما ترمي إليه أن تبدع أسلوبا جديدا توقفه إلى جوار الأسلوب القديم وتستعين به على موضوعات العصر المعقدة، وهذا ما نراه حاليا من خصائص الخطاب الشعري المعاصر.

## المحاضرة الرابعة : أنماط الخطاب.

يمكن تصنيف الخطاب من حيث الغرض التواصلي إلى الأنماط الآتية:

– 1 الخطاب القرآني: هو خطاب إلهي متفرد عن غيره من الخطابات في كل مستويات اللغة الصوتية والصرفية التركيبية والدلالية، المعجمية والتداولية.

هو خطاب يعود مرجعه إلى الله تعالى وهو المرسل والقرآن هو الخطاب المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما يميز هذا الخطاب أنه لا ينطق إلا بلفظه، لأنه منزل من الله ولا يجوز تحريفه، كما أنه موجه إلى الناس أي المرسل إليه لا يترجم إنما يشرح بكل اللغات .

أي أنه خطاب مقدس فمجرد اقترانه بصفة القرآني صار الأمر مؤكدا أن لا تحريف فيه فهو خطاب يوجهه الله تعالى إلى الناس ليهديهم وينير لهم حياتهم عبر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف لنا أن نخدش فيه وهو كتاب العزيز الحكيم

- 2 الخطاب النفعي (الإيصالي): هو ما يتم عبر ثلاثة وسائل وهي: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، لأن الاتصال يشترط هذه الأمور، وما يميز هذا الخطاب أنه يعتمد لغة نفعية استهلاكية مباشرة لغرض الإيصال، والإفهام، ويكون الإرسال عفويا ومباشرا دون تكلف، ويعرف هذا الخطاب في الدراسات الحديثة باسم la pragmatique أي النفعية ، أي أنها تدرس اللغة المتضمنة في الخطاب على أنها لغة إيصالية واجتماعية في الوقت نفسه.

- 3 الخطاب الشعري (الإبداعي) : هو التعبير اللغوي في الكلمات التي لا تعبر عن معانيها الحسية ودالاتها بشكل مباشر، وإنما تعبر عن جو نفسي ينقل المؤلف المتكرر إلى ما هو جديد وطريف، ويعالج هذا الخطاب موضوع الأسلوب وتشكيل العبارة بأسلوب راقى ومنتظم، أي أنه خطاب يهتم بالإبداع في اللغة التي تمثل الجانب النفسي للمرسل ويهتم فيه بالجمال والأسلوب المنمق.

- 4 الخطاب الإشهاري: لما كان الإشهار يعني الإعلان والظهور فإن الخطاب الإشهاري يعد شكلا من أشكال التواصل الحديث، حيث كان يهتم بالدرجة الأولى بالاقتصاد والتجارة وكل ما يهم الناس، لهذا كان لهذا النوع من الخطاب تأثير قوي في البنية الاجتماعية الذي يتوجه إليها، ويهدف إلى إقناع الجمهور الذي يخاطبه، ونجده يستخدم اللغة على نمط إيحائي حتى تثير المستهلك أي المرسل إليه،

وفي الختام يكاد يكون الخطاب الإشهاري إبداعيا فهو يستعمل اللغة وفق ما يستهوي به المشاهد لتصبح نفعية موجهة لخدمة الهدف الإشهاري.

- 5 الخطاب الصحفي: هو الخطاب الذي تستعمله الصحافة في نشرها للأخبار المتداولة على جميع جوانب الحياة الاجتماعية السياسية، الاقتصادية، التجارية والثقافية... وبالتالي تتنوع المواضيع في الخطاب الصحفي بتنوع الجوانب السابقة، وما يميز هذا الخطاب أنه يسرد الأخبار بطريقة مؤثرة، ويعتمد الخطاب الصحفي أسلوبا تقريريا واضحا مستعينا في ذلك باللغة الواضحة البسيطة التي تفهمها جميع أطياف المجتمع، حتى تستطيع التأثير فيهم.

- 6 الخطاب السياسي: خطاب إقناعي يهدف إلى التعبير عن الآراء والأفكار والمواقف حول ما يدور في مجال السياسة، فنجدته يذكر الديمقراطية، الأحزاب، السلطة، الدولة، يعتمد أسلوبا خبريا إقناعيا ينتهج الموضوعية والحجاج بلغة يفهمها كل فرد سياسي، والأجمل في هذا الخطاب أن المرسل لا بد أن يكون فردا في مجال السياسة، وما يميز هذا الخطاب هو أنه خطاب مقيد من مراسليه ومستقبله ومضمون الرسالة، فلا يجوز لأي كائن أن يخوض مضمار الخطاب السياسي دون أن يعلم قواعد وأصول المضمار السياسي عكس الخطابات الأخرى فيجوز أن يتقنها كل فرد في المجتمع.

- 7 الخطاب السردى: السرد هو أسلوب من الأساليب المتبعة في القصص والروايات وكتابة المسرحيات، وهو أسلوب ينسجم مع طبع الكثير من الكتاب وأفكارهم بسبب مرونته، ويعد أداة للتعبير الإنساني، ويقوم الكاتب بترجمة الأفعال والسلوكيات الإنسانية والأماكن إلى بني من المعاني بأسلوب السرد، وبذلك يكون الكاتب قد قام بتحويل المعلومة إلى كلام مع ترتيب الأحداث، وفي هذا النوع من الخطاب تتلاشى الحاجة لشرح أفكار أو لتلخيص المراد، والسرد هو الثمرة التي نتجت بعناية الكاتب بفكرته، ولهذا الأسلوب أهمية كبيرة في الأدب حيث يستعمله الكاتب المبدع لاستظهار مشاعره وعواطفه في قالب جذاب.

## المحاضرة الخامسة: آليات تحليل الخطاب الشعري.

## آليات تحليل الخطاب

شكى "تحليل الخطاب" كمجموعة من الإجراءات محور نقاش واسع منذ عقود، ولا يزال مستمرا إلى وقتنا هذا، ويعود سبب ذلك إلى رغبة الباحثين والنقاد والمحللين في الوصول إلى علم ينظر في الأبعاد الحقيقية لما ينتجه الإنسان من خطابات مهما تنوعت واختلفت.

وفي ما يلي ذكر لبعض المقاربات في تحليل الخطاب:

- **المقاربة التلفظية:** تعتمد هذه المقاربة على ربط العديد من العناصر اللغوية بعوامل خارجية، في إطار دراسة شروط إنتاج الخطاب وفهم آليات توظيف اللغة، ويعد اللساني الفرنسي إيميل بنفنيست مؤسس هذه المقاربة التي تدرس الآثار التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب، وتتكفل هذه المقاربة بدراسة المهمات (ضمائر الشخص، الظروف الزمانية والظروف المكانية) وهي الوحدات اللغوية التي تسمح للمتكلم بالارتباط بالواقع.

وبطريقة أخرى، تسعى هذه المقاربة إلى تفكيك الخطاب من عناصره اللغوية؛ حيث تهتم بعنصري الزمان والمكان وضمائر المتفاعلين في الخطاب، وبهذا تضمن تحليلا جاملا للخطاب بعيدا عن تحليل مكوناته اللغوية.

- **المقاربة التبليغية:** يعد اللساني "رومان جاكبسون" مؤسس هذه المقاربة، وتخصر مكونات العملية التبليغية في ست عناصر: المرسل، المتلقي، الوضع، المرجع، القناة والخطاب، وقد أسند لكل عنصر وظيفة، الوظيفة التعبيرية للمرسل، الوظيفة التبليغية للمتلقي، الوظيفة الاصطلاحية للوضع، والوظيفة السياقية للمرجع، الوظيفة الاتصالية للقناة، وأخيرا، الوظيفة الاصطلاحية للخطاب.

لقد اعتبرت الوظيفة التبليغية أهم وظيفة، وباقي الوظائف تتمحور حولها، لأن التبليغ هو المهية الأولى للغة؛ ويعترف جاكبسون نفسه أنه من الصعب إيجاد خطابات تنحصر تماما، في وظيفة من هذه الوظائف الست، ومنه فإن الصيغة الكلامية لأي خطاب تخضع للوظيفة المهيمنة، وأهم ما يؤخذ على هذا الشكل هو الكيفية التي حددها جاكبسون "الوضع"، فالغة بهذا المنظور هي مجموعة من الرموز المنتظمة وقائمة مغلقة من العلامات، والواقع أن اللغة هي نمط معقد من العناصر اللغوية وغير اللغوية.

وتدخل أيضا في إطار هذه المقاربة، أعمال هايمز الرائدة في هذا المجال، ومن بين أهم المفاهيم التي لخصت بوضوح هذه الأعمال، مفهوم الملكة التبليغية، إذ يرى هايمز أن الملكة اللغوية للمتكلم هي مجموع الوسائل الكلامية وغير الكلامية، يتم توظيفها لضمان نجاح العملية التبليغية، ويشترط في

اكتسابها التحكم في الأدوات والوسائل شبه الكلامية وغير الكلامية، إضافة إلى قواعد الاختيار السياقي للملفوظات المنتجة، وتعد الوظيفة التبليغية أهم الوظائف في اللغة، ذلك أن التبليغ أساس نظام كل لغة، ورومان ياكبسون حدس ذلك. فلكون الوظيفة التبليغية عناصر يربطها بالوظائف الست للغة فعنصر المرسل يقابله بالوظيفة التعبيرية على أساس أن المرسل يقوم بالتعبير عن الحدث المراد سرده أو الإخبار عنه، و يقابل عنصر المتلقي الوظيفة التبليغية لأن هدف المرسل من إرساله للرسالة هي حدوث عملية التبليغ بنجاح وهي التي تتعلق بمدى استجابة المتلقي للرسالة.

● **مقاربة تحليل المحادثة :** تدخل هذه المقاربة ضمن الأعمال التي تعتبر اللغة نشاطا اجتماعيا تفاعليا ، فهو يستخدم بالمعنى العام ليقصد به التبادلات الكلامية الحقيقية "Authentiques" في المجتمع، وبمعنى أخص أنماط معينة من الأحاديث، بغض النظر عن المقامات والأزمنة التي صدرت عنها. وتعتمد مقاربة تحليل المحادثة على اعتبار أن اللغة اجتماعية تتفاعل بتفاعل أفراد المجتمع الواحد، لكنها تهمل المتفاعلات الزمنية والمكانية.

● **المقاربة السوسيو لغوية:** استطاعت هذه المقاربة أن تحدد التنوع اللغوي المتجلي في مجموعة لغوية ما باختلاف فئاتها من حيث السن ، الجنس، مستوى التكوين، المستوى الاقتصادي، الأصل، العرق... وتكون بهذا قد أسست لعلم اجتماعي لغوي للمستمع المؤول الذي يولي اهتمامه لكل خلل يحدث في أية محادثة، فقد حددت الأسباب التي تعيق عملية الفهم المتبادل، حيث يرجع البعض منها إلى عناصر تناغمية تظهر وجود تنوع في الاستعمال اللغوي، ويرجع البعض الآخر إلى العالم الرمزي ورؤية العالم لدى المتخاطبين التي تصبغ خطاباتهم باقتضات ثقافية مختلفة. و تهتم هذه المقاربة بتحديد العناصر المتنوعة لكل فئة لغوية من سن و جنس وغيرهما مما يساهم في تحديد الخطاب بشكل أدق.

● **المقاربة التباينية:** أي إنتاج لسانی يتم بالانتظام هو إنتاج كفيل بأن يشك موضوعا للدراسة، يمكن تناوله كنشاط اجتماعي ضمن دراسة ميدانية، ويعود ذلك إلى أن التغييرات التي تصيب اللغة مصدرها تغييرات في المجتمع، وتشمل هذه التغييرات المستوى الأسلوبي الفردي بتجليها في أسلوب كل متكلم في الحديث، وعلى المستوى الاجتماعي الذي يظهر مختلف استخدامات المتكلمين على مستوى المجموعة اللغوية الواحدة.

والمجتمع يؤثر في تجلظاها الفردية في موضوع الخطاب، وبالتالي يظهر الاختلاف جليا في الأساليب الفردية التي يحكمها المجتمع.

- المقاربة اللغوية: تأسست هذه المقاربة بسويسرا وفرنسا على أيدي إ. رولي E. Roulet بجنيف" وك. أوركينيوني C.K.Orecchion وبعض اللسانيين أمثال ج. موشلر J.Moeschler، والثنائي سبيربر ويلسون Wilson et Sperber. ويرى إ. رولي أن تحليل المحادثة ينطلق من نمطين من الدراسة:

- الدراسة التراتبية، وهي تشمل مستويات أساسية:

- أ- الفعل الكلامي، وهو أصغر وحدة ينتجها المتكلم، ويرتبط بدورة الكلام.
- ب- التبادل: أصغر وحدة يتشكل منها التفاعل، ويتشكل على الأقل من فعلين كلاميين ويسمى كل مكون للتفاعل تدخلا.

- الدراسة الوظيفية: التي تسعى إلى إثبات الوظيفة الإنجازية لكل عنصر في التبادل وتجسيد الوظائف التي تربط بين مختلف مكونات المدخل، ويعتمد تحليل الخطاب على نمطين من الدراسة: التراتبية، إما بالفعل الكلامي أو التبادل والتي تهتم بالفعل الكلامي، وأما الوظيفية التي تتعلق بتجسيد الوظائف الرابطة بين مكونات الخطاب.

- الحوارية وتعدد الأصوات لدى باختين: اعتمد باختين على جعل التفاعل الكلامي محور أي نظرية تتناول اللغة كموضوع للدراسة، ويكمن سر نجاح هذه النظرية في نظرتها إلى اللغة على أساس وظائفها التواصلية والمبينة للواقع، فالحوار إذن، لا يمكن حصره فيما يجري بين شخصين في المحادثة اليومية، إنه يشمل أيضا كل إنتاج كلامي صادر عن الإنسان.
- حاول باختين أن يجعل الخطاب اللغوي موضوع الدراسة، فهي تعلي من قيمة الخطاب بهذه الطريقة وهي أيضا تعتمد الحوار سبيلا في الخطاب على أساس الوظيفة التواصلية.

**المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب:** تشكل دراسة الخطاب السياسي نواة هذه المدرسة، تفرع عن هذه المدرسة توجهان، الأول تحليل للخطاب، يمثل د. منغونو، حيث تفك مكونات اللغة للوصول إلى المعنى، ثم ينصب الاهتمام على الوظيفة الخطابية للوحدات اللغوية، باعتبارها وحدات لغوية بحتة، والاهتمام بما هو خطابي متعدد. وأخيرا التفكير في الأنماط التي يثبت فيها المتكلم في الخطاب، ويدعى هذا التوجه بالتوجه التحليلي، والتوجه الثاني هو المقاربة الإدماجية Approche intégrative التي تسعى إلى مفصلة الخطاب على شكل شبكة من السلاسل ما بين النصية، كمشاركة في تنظيم الكلام المندرج ضمن مكان محدد، ويتفرع عن هذه المدرسة توجهان؛ إما التوجه التحليلي الذي يقوم بتفكيك مكونات اللغة للوصول إلى المعنى والأنماط التي تثبت حضور المتكلم في الخطاب، أو توجه المقاربة الإدماجية الذي يربط الخطاب إلى مجموعة من المعاني.



- المقاربة التداولية: هي تيار نشأ بامتزاج وتقاطع مجموعة كبيرة من الأفكار والنظريات التي تتفق في الطابع الاستعمالي للغة. وأقدم تعريف لها يعود إلى السيميائي شارل موريس Ch. Morris الذي حصرها في جزء من السيميائية التي تدرس العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، ثم بدأت تنحصر شيئاً فشيئاً فأصبحت تطلق على النظرية التي تدرس اللغة باعتبارها مجموعة من الأفعال، ويسمح السياق بتحقيقها وفقد حصر الهولندي هانسون Hanson التداولية في ثلاث درجات:
  - تداولية من الدرجة الأولى: تشمل مختلف نظريات التلطف.
  - تداولية من الدرجة الثانية: تدرس الأسلوب الذي يرتبط فيه القول بقضية مطروحة، فهي تتناول بالدراسة قوانين الخطاب والظواهر الضمنية للغة.
  - تداولية من الدرجة الثالثة: تشمل نظريات أفعال الكلام.تعتمد هذه المقاربة على اعتبار اللغة مجموعة من الأفعال تتحقق وفق درجات شملت نظريات لسانية مختلفة.